المتابعون في صمت

ووسط كل هذه الأحداث المثيرة والمتلاحقة، كان هناك بعض الفرنسيين المقيمين في مصر يتابعون ما يحدث في صمت، ويرسلون الرسائل إلى الحكومة الفرنسية عن طريق القنصل الفرنسي بالإسكندرية، ليطلعوها على كل ما يحدث في مصر، وينتظرون النصائح والتعليمات للتعامل على أساسها مع من يتصدر المشهد في مصر ويتولى الحكم فيها، وكان القنصل الفرنسي دروفيتي هو أهم المتابعين، وهو الذي كان يتولى كتابة الرسائل ويرسلها إلى فرنسا، وكان هناك من يستقبل رسائله في فرنسا، ويعيد له الردود المناسبة بعد مشاورة الإمبراطور الفرنسي، وكان يُدعى تاليران، وزير الخارجية في الحكومة الفرنسية، وكان الفرنسيون بالطبع يحاولون الاستفادة لأقصى درجة من الأوضاع حسب الأحوال، حتى يفوتوا الفرصة على الإنجليز الذين أعدوا محمد بك الألفي، ليكون رجلهم في مصر منذ أن سافر معهم إلى بريطانيا، بعد جلاء الحملة الفرنسية، ومكث ما يقرب من عام كامل في لندن، يتلقى التعليمات والتوجيهات، ليتم بعد ذلك إعادته إلى مصر.

وكان الألفي من أقوى الشخصيات المتواجدة في مصر من أمراء المماليك، حتى إن محمد علي كان يتجنب الدخول معه في مواجهات عسكرية، وقد اعترف من قبل محمد علي لجليسه ومحل ثقته محمد بك لاظ، أنه لا يخشى في مصر كلها سوى شخصين فقط الألفي وعمر مكرم، فهو يعمل لهما ألف حساب، وكان دروفيتي يعرف قدر الألفي جيدًا ومدى خطورته، فكانت رسائله إلى تاليران لا تخلو من موقف الألفي من الأحداث وأين تتواجد قواته على الأرض.

وظل دروفيتي يرسل عديدا من الرسائل إلى الحكومة الفرنسية، ويلح في طلب التعليمات المطلوب تنفيذها في حال وصول محمد علي للعرش، ولكن الردود كانت تأتيه على نحو لا يحسم الموقف، ويطلبون منه ألا يخسر أحد الأطراف المتصارعة، وأن يتصرف بحذر وأن يكون على مسافة واحدة منهم جميعًا، لحين استقرار الأمور، فهذا ما يريده إمبراطور فرنسا الذي لا يريد أن يخسر الباب العالي.